دراسة سورة

يس

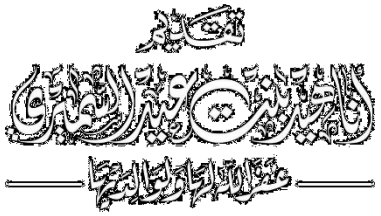

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبا بكم جميعا في هذه اللقاءات التي نرجو من الله أن تكون شاهدة لنا يوم القيامة، نافعة لنا في ديننا ودنيانا، وسبب لزيادة إيماننا، فإن مقصد زيادة الإيمان العظيم قد ذكره الرحمن سبحانه وتعالى من تلاوة القرآن، وأخبر بهذا في مواطن كثيرة من أهمها ما ورد في ختام سورة التوبة بعد ما فرّق الله بين صفات أهل الإيمان وصفات أهل النفاق، أخبر عن أن أهل النفاق نفسهم يعلمون أن كل سورة تنزل لا بد أن تزيد الإنسان إيمانا، وإن لم تزده إيمانا لم ينتفع بها، فهذا أمر يعرفه المنافق قبل المؤمن.

يقول الله في سورة التوبة {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} أي سورة {فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا} والمتوقع أن تكون السورة سبب لزيادة الإيمان، ورب العالمين يجيب {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}، نرجو من الله أن تكون هذه المجالس مجالس زيادة للإيمان، ومعرفة الرحمن سبحانه وتعالى. وتكون مجالس بإذن الله في هذا الشهر المبارك سبب لمضاعفة الأجور، فإنّ هذا الشهر العظيم خصّه

ربّ العالمين بخصائص أعظمها أنّ القرآن نزل فيه، وأنّ نبينا ﷺ كان كل ليلة يدارسه جبريل على نبينا وعليه السلام. فنحن في مدارستنا واجتماعنا نرجو من الله أن نكون متشبهين بهذا المسلك، وهو مدارسة القرآن.

الاختلاف بين هذا المجلس والمجالس العامة أننا نبذل جهودنا جميعا أن نتدارس.

سيكون مطلوب منا في مدارسة سورة يس؛ المختارة هذا العام، أن نقرأ الآيات وأن نسمعها، ومطلوب منا أيضا أن نقرأ في التفسير وأن نفكر وأن نجيب ونبحث سويًّا لأجل أن نستفيد من هذه الدورة.

المقصود الأهم أن نتدارس سويًّا، ونكتسب طريقة الدراسة وننتبه لبعض الأمور التي يجب علينا ملاحظتها خلال قراءتنا للقرآن.

المجالس التي نجتمع فيها غير المجالس المنفردة التي نقرأ فيها القرآن، إذا تفرقت أبداننا في البلاد نرجو أن تكون قلوبنا مجتمعة، وأن يكون اجتماعنا على القرآن سبب لأن تحيط بنا الملائكة ويذكرنا الله فيمن عنده. نرجو ذلك من الله ونرجوه أن يكون هذا العمل نوع من أنواع شكر نعمة القرآن.

القرآن نعمة عظيمة والواجب علينا شكرها، ومن أعظم أنواع شكر هذه النعمة: أن نجعل القرآن نَصْبَ أعيننا؛ نتعلمه، نتدارسه، ننشره، بحيث يكون منهجًا لحياتنا.

سورة يس

النظر للسورة التي تسبقها والتي تلحقها:

نبدأ مستعينين بالله في النظر إلى هذه السورة المباركة، ننظر إلى للسور التي تسبق هذه السورة وننظر للسور التي تلحق هذه السورة، وهذا العمل من الأمور التي تساعد على فهم ما تتضمنه هذه السورة. ترتيب السور يوجد خلاف في كونه فعل النبي ﷺ (توقيفي)، أو هو من اجتهاد الصحابة، والذي يظهر -والله أعلم- أنه توقيفي، الله كما علّم رسوله أين يضع كل آية، الله علّم رسوله أين يضع كل سورة.

إذا كنا نعتقد أن ترتيب السور توقيفي، فهذا يستوجب علينا إذا درسنا سورة أن ننظر للسور التي تسبقها والتي تلحقها.

نلاحظ أن سورة يس أتى قبلها سورتي سبأ وفاطر، وقبلها سورة الأحزاب وهي مدنية، ثم تأتي سورة سبأ مكية، وفاطر مكية، ويس مكية، ثم يأتي بعد ذلك سورة الصافات و سورة ص

والزمر وهي أيضا سور مكية، ثم تأتي الحواميم السبع سور المتتابعة بداية من غافر إلى الأحقاف، وتنتهي عند الأحقاف السور المتتابعة المكية، ثم تبدأ سورة محمد والفتح والحجرات، ثلاث سور مدنية، ثم مرة أخرى سور متتابعة مكية من سورة ق حتى سورة الواقعة. وهكذا نرى أن القرآن فيه أشواط من السور المكية ثم المدنية ثم المكية ثم المدنية، وهكذا.

وهذا الأمر من المؤكد أن له دلالات، وهذه الدلالات يمكن تصورها أكثر حال النظر إلى الألفاظ المتكررة أو المتشابهة بين السور.

لما تنظر إلى الكلمات المشتركة بين السور يتبين صلة السور ببعضها، ولو نظرت أيضا إلى الألفاظ المتكررة في نفس السورة تستفيد هذه الفائدة أيضًا.

السور متتابعة إذن اعتبر أن التتابع يدلنا على أنه توجد مواضيع مشتركة وأن مفهوم يبتدئ في هذه السورة ويتم في السورة التي تليها ويتم في السورة التي تليها، وهكذا. فكلما لاحظنا السور المتتابعة كلما وصلنا إلى معاني أعظم في فهم القرآن.

يزداد فهمنا للقرآن بعوامل كثيرة:

- فهم الكلمة القرآنية
- فهم حروف المعاني
- تركيب الجملة
- النظر للانتقالات
- ملاحظة الكلمات المتكررة
- ملاحظة مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

الآن سنركز في الكلام عن السور السابقة، سننظر في سورتي فاطر وسبأ، وننتقل من المعاني التي في سورة سبأ وفاطر إلى المعنى الموجود في سورة يس، وهذا كله لأجل فهم السورة. مطلوب منك في دراسة السورة أن تكون السورة السابقة على بالك بالإجمال.

حتى نصل لهذا المطلب، لابد أن أكون مشغولًا بالقرآن، وليس عندك أهم من كلام الله. وهذا نوع من أنواع شكر الله على نعمة القرآن وهي أعظم نعمة للإنسان؛ أن يكون الله جل جلاله تكلّم بكلام تستطيع أن تقرأه بلسانك وتفهمه بوجدانك، يا لعظمة النعمة التي نعيشها! ويا لحاجتنا للتفرغ لها!

مشكلتنا الحقيقية عدم الانشغال بالقرآن وعدم الشعور أنه نعمة، لذلك ربما ابتلينا في حياتنا ابتلاءات تدفعنا للتفرغ للقرآن.

من ألطاف الله بعباده لما يكونوا مشغولين بالدنيا أن يشغلهم عن الدنيا بما في الدنيا من كدر، ولو كان الكدر أن يشعر بالملل لأجل أن يشتغل بهذا الأمر الذي ينجيه في الدنيا والآخرة، ومن البلاءات على الإنسان أن يجد نفسه مشغولًا بالدنيا {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، نسأل الله أن يكون شغلنا فيما يرضيه وأن نكون بذلك صادقين وأن يرزقنا الصبر حتى نصل إلى اليقين.

الأمور التي اتفقنا على فهمها وملاحظتها سنضعها نصب أعيننا ونفكر فيها وبعد ذلك نرى كيف يمكن أن نصل إلى إجابات، أمور سيجاب عليها ضمن الدورة اختصارا، وأمور سنتركها للبحث.

ننظر للسورتين السابقة لسورة يس، وهي سورة سبأ وسورة فاطر، وهذه السورتين مكية.

لما نلحظ **سورة سبأ** نجد أن مطلعها ابتدأ بالحمد {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} سبحانه وتعالى، وسورة سبأ مميزة بالخبر أن الحمد لله في الآخرة.

ويحمد الله عز وجل في سورة سبأ على ملكه للدنيا والآخرة، ولما تقوم من النوم تقول: "أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله" أن الملك له وليس لغيره وهو كامل الصفات، الملك القدوس سبحانه وتعالى فله الحمد أن له الملك وليس لغيره، وله الحمد في الآخرة أنه هو الذي يقضي بين العباد وليس غيره سبحانه وتعالى.

وفي مطلع فاطر {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يحمد الله على أنه أنشأ السماوات والأرض من العدم، وعلى أنه، سبحانه وتعالى، خلق الملائكة بهذه العظمة، وعلى أنه، سبحانه وتعالى يزيد في الخلق ما يشاء، فالأمر أمره والملك ملكه وله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى. ونلاحظ الإشارة إلى الملائكة في سورة فاطر.

نلاحظ أن سورة سبأ وسورة فاطر ابتدأت بالحمد.

وننظر إلى خاتمة السورتين أيضا فنجد أمرا عظيما. فلو نظرنا إلى آية 47 في سورة سبأ، وهي من الخواتيم المميزة جدا، التي لا تنسى أبدا، فهمها وتكرار سماعها يجعل الإنسان في حالة من اليقين الذي سنجد أثره في سورة يس. لو بدأنا من الآية 47 الله عز وجل أمر رسوله بعدما خاطبهم في سورة سبأ

بالتوحيد وبعظمة الله وبأن لا أحد يستحق أن تتعلق به أو تعظمه أو ترجوه أو تخافه إلا الله، وبين لهم أنه يعظهم بواحدة في الآية السابقة مباشرة: {أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ} ناس عندهم تردد وشك، لا تجعلوا الناس يؤثرون عليكم، قوموا لله مثنى وفراد وتفكروا، ستصلون إلى هذه النتيجة. ثم أمر رسوله أن يقول {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} وهذا تركيب مميز في بيان أن الرسول لا يسأل الناس أجرا، وأنه يريد وجه الله {إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

ثم يأمر الله رسوله أن يقول لهم {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} سبحانه وتعالى، فتصور الحق مثل القذيفة القوية، الله يقذفها في قلوب العباد ولا يستطيعون مقاومتها، إلا أن الإنسان يبقى رادًّا للحق حتى يصرف الله الحق عنه، ليس مجالنا أن نبين تفاصيل الآيات، إنما المقصود النظر إلى الخاتمة بالإجمال.

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} هذا الحق الذي يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو مثل القذيفة التي ترد الباطل، تمزقه. قد يقال نجد شُبهًا، هذا ليس لقوة الشبهة، فالشبه لا تقع في قلوب الناس لقوة الشبهة إنما لضعف المستقبل، وإلا فإنها باطل ليس بشيء.

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}، هذا كله وعد بإظهار الحق وإعلاء كلمته {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} يعني أن الباطل سيزهق ويُمحى أثره.

إلى أن نصل أن الرسول أُمر أن يقول إن حصل، وهذا احتمال بعيد، لكن المقصود أن يبين لهم الرسول، {قُلْ إِن ضَلَلْتُ} عن الطريق الحق {فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي} لأن وبال هذا سيعود على هذا الذي يدعو إلى الباطل، {وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي}، إشارة إلى الوحي، {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}، إن اهتديت فإنما أهتدي للحق لأن الله أوحى إلي بهذا الحق.

كأن هذه الآيات تشير إلى أن كل شيء وبال على الإنسان وضار له فهذا بسبب نفسه، لأن في نفسه نفس أمارة بالسوء، وكل ما هو للنفس وينفعها فبهداية الله وتوفيقه، وهذا حُكم عام للناس كلهم، وإنما أُمر الرسول أن يقوله لأنه الرسول فيرشد الناس لهذا الأمر. مع علو محل النبي ﷺ وسداد طريقته، فكأنه يقال إذا قال النبي هذا الأمر فغيره من باب أولى.

نلاحظ أنها خُتمت {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} لأن الآية فيها أني إذا حصلت لي الهداية ليس بحولي وقوتي إنما هو فضل من رب

العالمين، وإن حصل لي أي ضلال -والنبي ﷺ ليس بضال -حاشاه- إنما هذا من باب التنزّل في المجادلة- إنما يضل على نفسه، بسبب نفسه، وربي سميع قريب يعلم الصادق الذي يريد الحق ويعلم الكاذب الذي لا يريده.

ونستصحب هذا المعنى لأننا لما نذهب إلى يس سنجد أن الله يقسم على هذا القرآن العظيم، يعني أن الشأن متصل بهذا الوحي {يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، كل هذه المقدمة في سورة يس سنجدها في خواتم السورتين.

في خاتمة سورة سبأ {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ} لما رأوا العذاب الذي أخبرهم به الرسل الذي كذبوه ليس لهم مهرب ولا فوت، {وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}، نلاحظ أن السورة ابتدأت أن الله له ملك السماوات والأرض، يُحمد الله الذي له ملك السماوات والأرض، فأيّ مكان سيؤخذون فيه فهو قريب، الله بعثهم، أخرجهم من قبورهم ووقفوا الموقف بعد البعث، فلا تظن أنهم في أي موقع كانوا سيكونون بعيدين، فهم في ملك الله، أُخذوا من مكان قريب، وذاك الوقت يبدأ الندم {وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ}، آمنا بالقرآن وآمنا بالنبي ﷺ، فرب العالمين يُيَئِّسهم {وَأَنَّىٰ لَهُمُ

التَّنَاوُشُ} من أين لهم أن يتناولوا الإيمان {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} لأنهم صاروا في الآخرة دار الجزاء وليسوا في دار البلاء، والدنيا دار الابتلاء بالقرآن.

وقد فسّر بعض أهل العلم هذه الآية، وهذا التفسير مهم بالنسبة لنا لما ندخل يس، التناوش بمعنى التناول أن هذا الأمر يحصل لهم لما يروا العذاب، فلما يروا العذاب يؤمنوا بلسانهم ولما يدخل الإيمان إلى قلوبهم. فهذا الإيمان الذي قالوا آمنا به لا ينفع. هم ينتظرون أن ينفعهم إيمانهم في تلك اللحظة كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا!

{وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} كان شيء قريب منكم، وكان يمكن أن تتناولونه، وما تناولتموه، فلما بعُد عنكم حاولتم أن تتناولونه، وهذا واضح في الآية التي تليها {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}، كما سيتبين لنا في يس أنهم يقولون على الرسول أنه شاعر، وقالوا إنه ساحر وقالوا إنه مجنون وقالوا إنهم ليسوا بمبعوثين، وهذا قذف بالغيب، في مقابل أن الله في بداية السياق قال {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، وهؤلاء يقذفون بالغيب بكلام لا يدركونه.

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} لأنهم كانوا يشتهون أن ينفعهم إيمانهم، أن يحال بينهم وبين النار. هذا الذي يشتهونه حيل بينهم وبينه، {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ} وصْف خطير لما في نفوسهم!

لو أردنا أن نقول موضوع سورة يس باختصار فسنقول إنه علاج للشك المريب. هؤلاء الذين في آخر سورة سبأ كانوا في داخل الشك، قد أحاط بهم الشك، الله يعيذنا.

لذلك في آثار السلف، كما عن قتادة: "إياكم والشك والريبة. فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بُعث عليه". أحيانا جميعًا وبعثنا على اليقين، إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين، رزقنا الله اليقين.

هذه نظرة إلى سورة سبأ، ونستصحب معنى مسألة الشك المريب، وأنها أخطر شيء على الإنسان، وأن سورة يس ستعالج هذا الأمر.

ننظر إلى خاتمة **سورة فاطر**، ونرى أفعال الله عز وجل التي خُتمت بها السورة. لو بدأنا من آية 38 ونظرنا في أفعال الله، {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ

وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (39) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40) ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)} فاطر مليئة بالكلام عن أفعال الله بالتصريح والتضمين.

ونتأمل في الآيات 42 إلى 45 ونتأمل في معانيها ما يساعدنا على فهم سورة يس {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)} الملاحظة الأولى

أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم معناه بكل طاقتهم وكل ما أوتوا من قوة وعزيمة، فلما تراه تقول هذا صادق، أكيد أنه لما يأتيه نذير سيكون مؤمنًا، نلاحظ كلمة **نذير** وتأتي أيضا في مطلع سورة يس، هم يقولون لو جاءنا نذير سنكون مؤمنين، وسيتبين لنا بعد ذلك كيف كلمة نذير، فهم رغبوا بمن ينهاهم لا من يبشرهم.

التعبير بالنذارة دون البشارة لأن الوحي هو الذي يؤدب الإنسان ويمنعه من شهواته، وليس مكانا لتحقيق رغباته، فهم بنفسهم يعرفون أنه إذا جاءهم سيأتي نذير، فهم يقولون نريد دينا وشريعة لا رغبات، نريد عبودية لله، لا كما نرى.

وَعَدوا لو جاءهم نذير أنهم سيكونون أهدى من إحدى الأمم، وهنا إشارة إلى اليهود والنصارى {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} فهم مثل المنتقدين لهم. فلما جاءهم نذير ماذا كانت النتيجة؟ {مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا}، هذا المعنى سيأتي في سورة يس واضحة، جاءهم نذير حتى يمنعهم عن شهواتهم لكن هم لما سمعوا النذير {مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ}.

لذلك لما سئل أبو جهل ألا تعلم أن النبي ﷺ صادق؟ قال صادق، لكنه لأنه يفكر في المنافسة، يقول هم سقوا ونحن سقينا

وأطعموا وأطعمنا ويقولون منا نبي يأتيه الوحي، فأنى ندرك ذلك؟ فالحل أنه يكذب.

نفس الكلام لما قيل لأحد أتباع مسيلمة الكذاب: أتعلم أن النبي صادق؟ قال نعم، أتعلم أن مسيلمة كذاب؟ قال نعم، قيل فكيف تتبعه؟ قال كذاب ربيعة أفضل عندنا من صادق مضر! لأنه من قبيلته.

قال الله عز وجل في هذا المعنى {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ}، هذا يعني أن الإنسان يأتي شيء يرفضه من كلام الرسول الذي جاء ينذره، فتجده ينقلب عليه، وهذا هو الاستكبار، يعني رفض لأجل الشهوة والمكر السيء، رفضوا دعوة النبي ﷺ عنادا واستكبارا في الأرض، وطلبا لتحقيق شهواتهم.

نلاحظ الفرق بين الآيتين {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ}، لما جاءهم النذير كان هذا ردّهم، لأنهم كانوا ينتظرون أن يأتي الدين على إرادتهم، يلتزمون بالدين متى ما كان الدين مناسب لهم، فلماذا طلبوا الدين إذن؟! لماذا لم يبقوا في شهواتهم؟ لماذا يحلفون بالله؟ لماذا يفكرون في هذا الموضوع أصلا؟

نتكلم عن الصورة في الماضي، ونتكلم عن الصورة في الواقع، أما في الماضي لك أن تتصور أن اليهود والنصارى يحيطون بهم، اليهود في يثرب إلى الشام، والنصارى في نجران إلى اليمن، ويشترك اليهود والنصارى في الشام. يحيطون بهم ولهم كتاب ولهم ميزة ولهم وضع. هذا الوضع هم ليسوا موجودين فيه فهم يريدون الوضع الذي كان عليه اليهود والنصارى، وقد كانوا يتفاخرون عليهم، لكن دين يعيد ترتيب حياتهم، ويعيد ترتيب الأوضاع الاقتصادية ويحدث تغييرا في طبقاتهم، يعطي الحقوق والعدل، يصرفهم عن كثير من شهواتهم! لا يريدون هذا الدين!

ناس كان دينهم مرتبط باقتصادهم، كل قبيلة من القبائل من مكة إلى الشام لها صنم في مكة، وقبلت قريش أن تبقى أصنامهم مقابل أن يسهلوا لهم التجارة، وهم يرون أن الأصنام لو كسرت ستنتهي التجارة والأوضاع الاقتصادية سيحصل لها كذا، هذا الدين لا يناسبنا، سيفسد علينا، في نظرهم.

بهذا نتصور لماذا يرفض الدين هؤلاء الذين طلبوا الدين، وهكذا في الواقع يجد الإنسان أن هؤلاء أفضل منه لكونهم يحفظون القرآن، أو كونهم يهتمون بالدين، أو كونهم يعرفون ماذا يفعلون بالمواقف، أو كذا، يقول أريد أن أتعلم الدين فلما يحكم

الدين عليه يجد نفسه في موقف حرج؛ إما أن يكون صادقا في خلع الرداء القديم الذي يلبسه في تفكيره، وإما أنه يريد الوجاهة التي تحصل بكون أن الإنسان الذي معه دين، والراحة التي تحصل في النفس للإنسان من كون أن معه دين سائر على الفطرة، وإما أن يطلب دنياه.

هذا سيظهر في سورة يس بوضوح، الآيات بينات لكن الصراع دائم في كون أن هذا الإنسان لا يريد الحق، فيتهم الحق ويظهره كأنه باطلًا، فلا يكون صادقًا، وهذا معنى {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ}.

قال الله عز وجل: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}، هم الذين ستضيع أوقاتهم وأعمارهم وهم يجادلون في الحق، والحق لن يتغير، هذه سنة الله التي لا تتبدل.

إلى أن يأتي التهديد في السورة بأن الله يعاقب هؤلاء الذين يمكرون المكر السيء، والمكر السيء جدل ونقاش ومحاولة إبطال الحق ومحاولة جعل الحق على صورة الباطل الذي يريدونه.

إلى آخر السورة والله يبين لنا أنه بيده سبحانه وتعالى تصريف هؤلاء، وأن العقوبات قريبة وأن الله له سنة في هذه العقوبات ذُكرت في أواخر سورة فاطر.

هذا الأمر سيتبين لنا بوضوح لما نتدارس سورة يس، ونرى مؤمن آل يس الذي جاء خبره في السورة، ماذا فعلوا به، ماذا حصل له؟ ماذا حصل لهم؟ وسنة الله لا تتبدل، {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} أتت سورة يس، بالنسبة للسورتين السابقة، تعالج الشك والريب وأتت تبين بطلان دعوة من ادعى أنه يريد الحق فلما يأتيه الحق يرده لأنه لا يناسب هواه.

لما نقف على سورة يس ستبقى هذه المعاني معنا إن شاء الله علاج الشك المريب وهذا من أهم المعاني، لأن اليقين مطلب يكاد أن يكون أصلًا في المطالب، في مطالب الإيمان الإنسان يحتاج أن يكون من أهل اليقين، وهذا معنى زيادة الإيمان، أن كلما زاد الإنسان إيمانًا كلما زاد يقينًا.

سورة يس صلتها بالسابق أنها علاج لما ورد من الخبر في آخر سورة سبأ، {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ}، فهو علاج للشك المريب، لكن ستعالج الشك المريب لمن صدق في طلب الحق،

أما هذا الذي -كما رأينا- {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} أقسموا أنه لو جاءهم نذير سنسمع كلامهم ونسير عليه، هؤلاء لا يخرجون من الشك المريب لأنهم مستكبرين وماكرين.

كيف يكون طالب الحق في شك مريب؟

تصور الواقع الذي نعيشه؛ أناس شوِّه الإسلام في نظرهم، وهم بعيدين عن الإسلام بسبب تربيتهم أو بسبب موقعهم الجغرافي، أو لأي سبب كان، وسمعوا عن الإسلام من أعدائه، في نفسهم يقين ببطلان الإسلام، ثم بدأوا يسمعون عن الإسلام من شيء قرأوه في مكان أو من ناس أسلموا حديثا، فدخل إلى نفوسهم أنه يمكن أن يكون هذا حق لكنهم شاكين، إذا طلبوا الحق و كانوا في شك، ربنا ينجيهم ويَصلون إلى الحق، وإذا ادّعوا، والإنسان في أحيان كثيرة لا يدري هل هو صادق أو مدعي إلا لما يعيش الموقف، لما يطلب الحق الله يوصله للحق لما يكون صادق في ذلك.

نتذكر في أوائل سورة البقرة رب العالمين خاطب هؤلاء فقال: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}، يوجد ناس كانوا

في شك، في ريب، وجربوا فاتضح لهم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، فأزال الله بذلك ريبهم.

معنى ذلك أن الإنسان لما يكون عنده شيء من الشك يطلب الأسباب التي تجعله في يقين، يجب أن يتحلى بأمرين: الصبر والصدق؛

يصبر ليصل إلى الحق ويصدق في طلب الحق.

نجعل هذه الأشياء على بالنا حتى في تعديل تفاصيل في تفكيرنا، قد يكون الشك منتشرًا في قضايا متفرقة من الدين، وليس ضروري أن يكون في أصل الدين، فلا تنتظر أن تصل عند ربنا وأنت ما طلبت اليقين في هذه القضية، مهما كان عمرك، فلا تقل أنا متقدم في العمر، فكل شيء تستطيع أن تطلب فيه اليقين، اطلبه.

مثلا نفترض أن عندي شك، وهي مناسبة لكل أمر ليس مبنيًّا على اليقين، كيف سجود السهو، (لا أعرف) هذا فقد للمعلومة أو شاك بمعنى أني مشوش، هل قبل التسليم أو بعد التسليم، متى قبل ومتى بعد التسليم، لا تخرج من هذه الدنيا وأنت لا تعرف هذه المعلومة لأنها جزء من كينونتك، ومن حياتك ومن إيمانك

ودينك، حتى لو كانت معلومة عملية ما دمت تتعرض لها كن على يقين فيها وثبتها معرفة، لأنه لا أحد سيقوم بالصلاة غيرك!

مثل لما نكون في مكة والإمام يصلي على الميت، فتجد أناس لا يعرفون كيف يصلون على الميت، فتبادرهم بالتعليم، تجد أناس سمعوا هذه المعلومات سابقا فيعتبرون نفسهم عارفين لكنهم شاكين، مثل هذا موقف يكون الإنسان فيه متعرض لأجر عظيم من رب العالمين، أجر الصلاة على الميت، لكن لأنه في شك يخسر هذا الأجر!

نحن لسنا في مقام أن ربنا يعطيه على نيته، فشأن الأجور عند رب العالمين، لكن هذا مثال للتقريب، أننا يجب أن نكون طالبين لليقين في جميع شؤوننا في عقيدتنا وأعمالنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

قصدنا بهذه المقدمة أن نتصور أن هذا القرآن العظيم، كلام رب العالمين، ننظر له نظرة من يرى أنه قد أُنعم عليه وخُصّ من بين الخليقة بأن يسمعه ويعتني به، ويتدارسه، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء! فإذا أنعم الله عز وجل علينا بهذه النعمة، فلنكن جميعًا باذلين الجهد بشكرها.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن، ويكون أنيسًا لنا في قبورنا وشاهدًا لنا في موقفنا مع ربنا، ورافعًا لنا درجات في جنات النعيم، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا ونورًا لصدورنا وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، والحمد لله رب العالمين.

مطلوب البحث في أمرين للقاء الغد:

1) الأمر الأول في معنى يس، اقرؤوا فيه، ومن ذلك أن نراجع تفسير ابن كثير وتفسير الطبري وغيرها من التفاسير المعتمدة، والأفضل أن نقرأ من الباحث القرآني.

يس: قسم أقسمه الله تعالى وهو من أسمائه، أو يا رجل، أو هو مفتاح كلام افتتح به الله كلامه، أو هو اسم من أسماء القرآن، وقال أبو جعفر هو حرف من حروف الهجاء (الطبري).

حروف مقطعة، يا إنسان، اسم من أسماء الله (ابن كثير).

وقيل هو اسم من أسماء النبي بدليل {إنك لمن المرسلين}. (القرطبي)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ قَسَمٌ، وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّ مَعْنَاهُ: يَا إِنْسَانُ بِلُغَةِ طَيْءٍ، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَجَمَاعَةٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: يَا رَجُلُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: يَا سَيِّدَ الْبَشَرِ. (البغوي)

2) الأمر الثاني مراجعة الأحاديث التي أتت في فضل سورة يس من حيث درجة صحة الأحاديث.

الأحاديث في فضل سورة يس كلها ضعيفة (ابن باز)

https://www.alukah.net/sharia/0/72192/%D9%85%D9%86%D8%B2%D9%84%D8%A9-%D8%A3%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D9%8A%D8%B3-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D9%86-%D8%A3%D8%A6%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86/%D9%82%D8%AF